

قضايا و آراء

الجمعة ١٤٢٩ هـ 4 يوليو 2008 العدد-132 السنة 44405

جائزة حامد عمار لسامي خشبة ورووف عباس

بقلم : د. محسن خضر

كلية التربية جامعة عين شمس



فوز المفكر التربوي الكبير حامد عمار بجائزة مبارك في العلوم الاجتماعية هذا العام يثير دلالات عدة ويؤدي إلى نتائج مهمة.

المسار الذي خطه حامد عمار من أسوان إلى القاهرة مشابه لمسار الكاتب الكبير عباس العقاد حيث تظل القاهرة جاذبة أصحاب الرؤى الخلاقة والمشروعات الفكرية الكبرى، وان كانت رحلة حامد عمار ستستكمل في بعثته إلى جامعة لندن لنهاية الأربعينيات لتقريبها في المشابهة إلى جنوبي آخر خط نفس المسار، ولكن كانت باريس مصبه وليس لندن، وهو طه حسين الذي عاد من بعثته لي طرح فيما طرح أهم مشروع تربوي تنويري مصري في القرن العشرين. ويبدو أن حامد عمار سوف يستلهم مشروع طه حسين بصياغة جديدة بحكم الفارق الزمني، وان بقي قطباه الأكبر العدالة الاجتماعية، وتكافؤ الفرص التعليمية من ناحية، والاستنارة العقلانية من ناحية أخرى.

وإذا كان حامد عمار قد فاز بالجائزة عن تجربته الشخصية وتكوينه المعرض المتناسك الذي يتداخل فيه الوطني بالقومي بالعالمي، ويحاول التأكيد فيه علي امكانية تلاقح الابداع الفردي والإتاحة الواسعة التي يمثلها مبدأ ديمقراطية التعليم وتكافؤ الفرص التعليمية.

ويكاد حامد عمار ان يكون في بساطته المعرفية والعمرية أغزر المفكرين التربويين انتاجا، حيث اقتربت مؤلفاته من الثلاثين كتابا، كما يسهم بالكتابة في الصحف السيارة، والمشاركة في المؤتمرات وفعاليات الجمعيات الأهلية والحكومية، والإشراف علي الأطروحات العلمية في دأب ومثابرة إلا أن من أهم اضافات حامد عمار للثقافة العربية والفكر التربوي أنه شق طريقا لتيار نقدي تربوي عبر دوره في مدرسة تربية عين شمس، وعبر قسم أصول التربية ربما أفرز الذي ينتمي كلانا إليه واحتضن الكثيرين من الابناء والأحفاد منهم محمد نبيل نوفل وسعيد إسماعيل علي وحسن البيلاوي وعبدالسميع سيد أحمد وكمال نجيب وطلعت عبدالحميد وعبد اللطيف محمود ومحمد عبدالخالق وأحمد يوسف سعد وكاتب هذه السطور، تمثل تجربة جائزة حامد عمار جماعا لكل هذه المعاني قوة الإرادة ورحابة الرؤية، والانحياز المجتمعي والانتصار إلي قيم التقدم والاستنارة، والانتماء القومي العربي، والانتساب الواعي والنقدي إلي الموروث الثقافي والذاتية الثقافية، ولذا فقد عد كتابه المهم في بناء البشر تعبيرا حقيقيا عن رحابة وأصالة الرؤية الفكرية التي تجمع ما بين الالتزام الثوري والموقف النقدي، والاعتزاز بالذات الثقافية المصرية، وفيه نحت مصطلح الشخصية الفهولية التي سوف تتطور لاحقا في مجتمع الانفتاح إلي نمط مجتمعي أسوأ هو الهباش وأخيرا البلطجي في رصده لسلبات الثقافة المجتمعية المنتجة والنمط المجتمعي المشوه.

وفي سيرته الذاتية خطي اجتزناها لخصت المسعي الفردي الخلاق نحو تجاوز وضعية الفقر والحرمان والاستفادة من قدرة التعليم علي احداث الحراك الطبقي، وهو ما يشابه مسعي مشابه ل طه حسين من قبل.

ومن المصادفة ان يرحل في يومين متتاليين اثنان من اصفياء ومحبي حامد عمار وهما الناقد الكبير سامي خشبة والمؤرخ اللامع **رعوف عباس**، والاول كان في الطليعة الأولى من محبي حامد عمار، وحيث اتسعت صفحة الجمعة الثقافية التي أشرف عليها لمقالات الرجل، أما الثاني الثقافية فقد ألهم الرجل، وألح عليه ان يخط مسيرته الذاتية خطي اجتزناها كما كان وراء ترشيح الجمعية المصرية للدراسات التاريخية للرجل لنيل جائزة مبارك هذا العام.

ومن اللافت ان ثمة هما مجتمعيًا وفكريًا واحدا يجمع الثلاثة، فقد كان سامي خشبة منحازا لقيم الاستنارة والتحديث،

ومنفتحا علي تجارب الابداع الانساني في الخارج، والداخل، وأحد صناع الثقافة الجادة والخلاقة في حياتنا الثقافية، ويشهد علي ذلك كل موقع تنفيذي تولاه في الحقل الثقافي المصري، أما **رءوف عباس** فقد كان ابنا حقيقيا للبطء وانحاز إلي اسهامات ثورة يوليو التقدمية وزخمها في العدالة الاجتماعية والتحرر الوطني، والنضال القومي كما انحاز عبر أطروحاته للدكتوراه إلي نضال العمال في مصر، وكان أحد الحراس الحقيقيين للحق في المعرفة والتقدم واستعادة الجوهر العقلاني للدولة المصرية.. ربما غيب الموت الرجلين فحرما د. عمار من احتفائهما العميق بالجائزة ولكن الجائزة في النهاية تهدي إلي رهانات مشروعاتهما الثقافي، وإلي القيم التي مثلها سامي خشبة و**رءوف عباس**، وعبر عنها مشروع حامد عمار التنويري.

<http://www.ahram.org.eg/Archive/2008/7/4/OPIN7.HTM>